مكافحة السرطان في تونس: تغيير المفاهيم وتحسين فرص الحصول على الرعاية

بقلم آبها ديكسيت

السرطان ليس حكماً بالإعدام. وإذا اكتُشِفَ وعولِجَ في وقت مبكر، فإنه قابل للشفاء. هذه هي الرسالة التي يقدمها الأطباء التونسيون لمرضاهم.

وزيادة الوعي حول الوقاية من السرطان وعلاجه بين السكان عموماً مسألة حيوية في جهود التواصل الخارجي لوزارة الصحة العامة التونسية. وهذه الجهود تشمل التعليم حول دور الطب والتكنولوجيا الإشعاعيين (أنظر مربع العلوم)، وشرح أن تقنيات التصوير النووي آمنة وغير مؤلمة وفعالة التكلفة للناس.

"هناك رهاب حول التطبيقات النووية في الطب،" كما قال محمد فوزي بن سليمان، رئيس قسم الفيزياء الحيوية والطب النووي بمعهد صالح عزيز في تونس ورئيس المركز الوطني للوقاية من الإشعاعات. "تُجرى مجموعات حملات عامة بانتظام لإزالة الجهل وتوسيع الوعي حول فوائد وفعالية تكنولوجيا الإشعاع لعلاج السرطان."

"تُجرى مجموعات حملات عامة بانتظام لإزالة الجهل وتوسيع الوعي حول فوائد وفعالية تكنولوجيا الإشعاع لعلاج السرطان."

— محمد فوزي بن سليمان، رئيس قسم الفيزياء الحيوية والطب النووي، معهد صالح عزيز - مركز السرطان، تونس

طبيبة تستخدم آلة مسح ضوئي للتصوير المقطعي الحاسوبي بالانبعاث الفوتوني المفرد على مريض في معهد صالح عزيز - مركز السرطان في تونس.

(الصورة من: معهد صالح عزيز - مركز السرطان في تونس)

والأطباء واثقون من أنه يمكنهم التغلب على الحاجز النفسي من خلال حملة مشيَّدة جيداً ومحددة الهدف توفر معلومات بسيطة وذات صلة وعملية حول التصوير الطبي والعلاج الإشعاعي وكيف يمكن أن يساعد ذلك على تحسين رعاية المرضى. "والنجاح هو أن نزيل الغموض عن 'المحرَّمات' المتعلقة بالسرطان، والنتيجة هي أن يأتي المزيد من الناس للفحوص"، كما قال بن سليمان.

وقد سُجِّلت نحو ٨٠٠٠ حالة جديدة من حالات السرطان في تونس من عام ٢٠١١ إلى عام ٢٠١٥، وفقاً لوزارة الصحة العامة في البلد، وسرطان الرئة والثدي هما الأكثر انتشاراً. ويجري معهد صالح عزيز أكثر من ٢٠٠٠٠ تشخيص سنوياً، ويتلقى أكثر من ١٢٠٠٠ مريض العلاج. "وعلينا التأكد من أن المعالجة والجرعات الإشعاعية دقيقة، ويتم رصدها بعناية، فأولويتنا هي الرعاية المقدمة لمرضى السرطان،" كما أضاف بن سليمان. وقد كانت هناك زيادة في حالات السرطان في تونس على مدى العامين الماضيين. وارتفع العدد الإجمالي من ٢٥٥٣ حالة في عام ١٩٩٤ إلى ٣٩٢٦ حالة في عام ٢٠٠٩، بمتوسط زيادة سنوية نسبتها ٣,٣٪. ومع ذلك، أظهر هذا العدد المتوسط انخفاضاً نسبيا، ولكن ليس كبيراً إلى ٣٧١٥ حالة خلال الفترة بين عامي ٢٠٠٩ و ٢٠١١.

وكما هو الحال في معظم البلدان المنخفضة والمتوسطة الدخل، يضع عبء السرطان المتزايد ضغطاً كبيراً على نظام الصحة العمومية في تونس. وبدعم الوكالة، يعمل الأطباء في البلد لتلبية طلب متزايد على رعاية مرضى السرطان، ويشمل هذا إقناع الناس بالخضوع لعلاج السرطان في أقرب فرصة.

التعامل مبكراً، والعلاج بسرعة

التدريب المستمر للموظفين الطبيين أمر ضروري. "وهذه التكنولوجيات لا تساعد فقط أطباء الأورام مثلي على رؤية الجسم واختيار أفضل علاج مطلوب للتعامل مع الأنواع المختلفة من السرطان، ولكننا نحتاج أيضاً للتأكد من أننا نستخدم المستحضرات الصيدلانية الإشعاعية الصحيحة، التي تُعتبَر حيوية لتتبع التقدم المحرز وتقييم كيفية تفاعل وعمل الجسم"، كما أوضح بن سليمان.

وهذا مجال تلعب فيه الوكالة دوراً هاماً. وقد ساعد تونس في التدريب ونقل المعرفة والمساعدة في الاستخدام السليم والمأمون للمصادر المشعة في علاج السرطان. وأجرى خبراء الوكالة تدريباً للأخصائيين في الصيدلة الإشعاعية واختصاصيي

الفيزياء الطبية لتحسين مراقبة الجودة والاستخدام المأمون للأدوية والمعدات الإشعاعية.

"نحن نعمل جنباً إلى جنب مع اختصاصيي الفيزياء الطبية لضمان أن يملكوا المعرفة والتدريب الصحيح لحماية أنفسهم والمرضى،" كما قال عزة حمو، اختصاصي الأشعة لطب الأطفال والرئيس السابق للمركز الوطني للوقاية من الإشعاعات. "وبروتوكولات الأمان لدينا تتماشى مع معايير أمان الوكالة". وعلى الأطباء والتقنيين المتعاملين مع التطبيقات الطبية النووية تنفيذ الإجراءات الصحيحة مع اتِّباع إرشادات الأمان بدقة، كما قال.

وتوكيد الجودة في الطب الإشعاعي عملية معقدة. وهو يغطي تقييم الجوانب الإكلينيكية والمادية والتقنية للتصوير التشخيصي والعلاج الإشعاعي، وكذلك الضوابط الإدارية الضرورية لتجنب الأخطاء والحوادث وسوء التشخيص. ويشمل دعم الوكالة توفير إرشادات تقنية لتنفيذ ومراجعة برامج توكيد الجودة للعلاج الإشعاعي والطب النووي وعلم الأشعة التشخيصي في المستشفيات.

وقد دعمت الوكالة تونس في جهودها من أجل تحسين مكافحة السرطان لعقود. ويملك البلد الآن ١٧ جهاز علاج إشعاعي لسكانه البالغين ١٠ ملايين، مما يضعه فوق معظم البلدان في أفريقيا، كما قال عدنان عطوة، موظف إدارة برامج تونس بإدارة التعاون التقني في الوكالة. ومنذ عام ٢٠١٣، أنشأت الحكومة التونسية، بدعم الوكالة، مراكز للعلاج الإشعاعي في تونس وسوسة وصفاقس، مجهزة بجيل جديد من المعجلات الخطية. وتُستخدم هذه المعجلات عموماً لعلاج المرضى بواسطة تشعيع الأورام بدقة بالغة التحديد، وبأشعة سينية عالية الطاقة. وتساعد الوكالة البلد أيضاً عن طريق توفير التدريب المتخصص، بما يشمل المنح الدراسية والزيارات العلمية، في الفيزياء الطبية والعلاج الإشعاعي.

ولتقييم قدرات مراقبة السرطان في تونس وتقديم توصيات بشأن برنامجها الوطني الشامل لمراقبة السرطان، أجرت الوكالة وشركاؤها بعثة متكاملة لبرنامج عمل الوكالة من أجل علاج السرطان، أو بعثة استعراضية متكاملة لبرنامج العمل من أجل علاج السرطان، في تونس في أواخر عام ٢٠١٣. وهذا ساعد البلد على تحديد الإجراءات ذات الأولوية بغرض تعزيز التخطيط لمراقبة السرطان والوقاية والكشف المبكر والتشخيص والعلاج وقدرات الرعاية التسكينية. كما أسهم في تعزيز سجل السرطان النشط في تونس الذي يتتبَّع حالات السرطان.

عدد اختبارات السرطان المؤدّاة في معهد صالح عزيز للسرطان في تونس

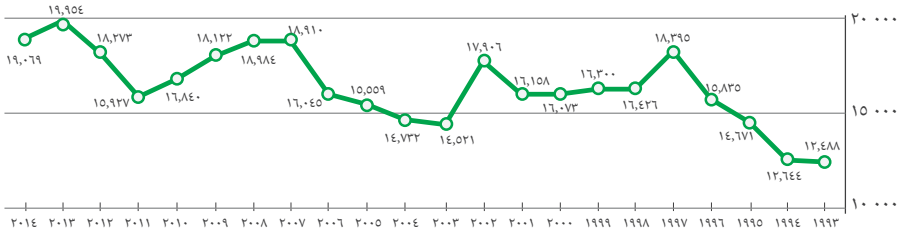

حقائق سريعة:

في عام ٢٠١٢، تم الإبلاغ عن ١٤,١ مليون حالة جديدة للسرطان في أنحاء العالم، ويُتوقَّع أن يصل هذا الرقم إلى ٢٤,٦ مليون حالة بحلول عام ٢٠٣٠.

العِلم

الطب الإشعاعي

تُستخدَم التقنيات النووية والإشعاعية عادةً في تشخيص وعلاج عدد كبير من المشاكل الصحية مثل الأمراض المُعدية وغير المُعدية، وخاصةً اضطرابات الأمراض القلبية الوعائية والسرطان. وتُستخدَم إجراءات الطب النووي مع المستحضرات الصيدلانية الإشعاعية لتشخيص وعلاج الأمراض. ويشمل علم الأشعة التشخيصي أساساً استخدام الأشعة السينية والتصوير المقطعي الحاسوبي في كشف الأمراض. والتصوير المقطعي بالانبعاث البوزيتروني جنباً إلى جنب مع التصوير المقطعي الحاسوبي بالأشعة السينية تكنولوجيا هجين تسمح بكشف وتحديد مراحل تطور الأمراض بشكل أفضل عن طريق عرض الاختلالات التشريحية والوظيفية معاً داخل الأعضاء المصابة. ويُستخدَم العلاج الإشعاعي لاستكمال الجراحة وأحياناً العلاج الكيميائي بغرض علاج السرطان.